نتأمل في ذلك فانه مهم وان لم ار من عرج عليه وجعلته بينكم محرما اي حكمت بتحريمه عليكم وهذا مجموع عليه في كل ملة لا
تتفاق سائر الملل على مراعات حفظ الانفس والانساب والاعراض والعقول والاموال والظلم قد يقع في هذه او بعضها
واعلاه الشرك قال تعالى ان الشرك لظلم عظيم وهو المراد بالظلم في اكثر الايات قال تعالى والكافرون هم الظالمون ثم تليه
المعاصي على اختلاف انواعها وروى الشيخان الظلم ظلمات يوم القيمة وروينا ايضا ان الله ليملي للظالم حتى اذا اخذه
لم يفلته ثم قرأ وكذلك اخذ ربك اذا اخذ القرى وهي ظالمة وروى البخاري من كانت عنده مظلمة لاخيه فليتحلله منها
فانه ليس ثم دينار ولا درهم من قبل ان يوخذ لاخيه من حسناته فان لم يكن له حسنات اخذت من سيئات اخيه فطرحت
عليه فلا تظالموا بتشديد الظاء كما روى والاشهر تخفيفها واصله تتظالموا ادغم احد التاءين في الاخر وحذف
اي لا يظلم بعضكم بعضا فانه لا بد من اقتصاصه تعالى للمظلوم من ظالمه كما استفيد من هذا السياق العجيب الموجه اليه
بقوله تعالى لا يحب الله الجهر بالسوء من القول الا من ظلم اي فيجب تعالى منه الجهر بذكر ما ظلم به ليشاع حتى اذا عوقب الظالم
عرف الناس انه لم يوقع تعالى ذلك به الا انتصارا للمظلوم ليسكن غيره عن الظلم ويعلم ان من وراء الظالمين طالبا
لا يرد بأسه وقد يمهل الظالم زيادة في استدراجه ليزداد عقابه انما نملي لهم ليزدادوا اثما فامهاله عين عقابه
وهذا اولى واظهر من القول بان حكمة امهاله ان المظلوم لا يستحق على الظالم الا ان تمكن سيده او
الحكم في الجناية على العبد لسيده والخلق كلهم واروش جناياتهم ملك وحق لله تعالى فله الامهال وله الاقتصاص انتهى
لان هذا وان كان حقا الا ان الحكمة به لم تظهر ولما ذكر تعالى ما اوجبه من العدل وحرمه من الظلم على نفسه وعلى عباده
اتبعه بذكر احسانه اليهم وغناه عنهم وفقرهم اليه وانهم لا يقدرون على جلب منفعة لانفسهم ولا دفع مضرة عنهم
الا ان يكون هو الميسر لذلك مشيرا الى ذلك الجلب والدفع اما في الدين او الدنيا فصارت اربعة اقسام وهي الهداية
والمغفرة وهما جلب منفعة ودفع مضرة في الدين والاطعام والكسوة وهما جلب منفعة ودفع مضرة في الدنيا وأهم
هذه الاقسام طلب الهداية فلذا افتتح به فقال يا عبادي كلكم ضال اي غافل عن الشرائع قبل ارسال الرسل
فهو على حد ووجدك ضالا فهدى اي غافلا عما نوحيه اليك فهداك اليه بالوحي فهو على حد وكذلك اوحينا
اليك روحا من امرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان او ضال عن الحق لو ترك وما يقتضيه طبعه من الراحة من
التكاليف واهمال النظر المؤدي الى معرفة الله تعالى وامتثال اوامره واجتناب نواهيه الا من هديته اي وفقته
للايمان بما جاءت به الرسل على المعنى الاول قال تعالى كان الناس امة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين
او للخروج عن مقتضى طبعه الى النظر المؤدي الى معرفة الله تعالى وامتثال ما جاء عنده على المعنى الثاني وبيانه
انه تعالى خلق النفوس بقواها وطباعها وما ارصد لها من الاهواء والشياطين مائلة الى الضلال فمن اراد
ضلاله تركه وارسله على سجيته وتخلى عنه ومن اراد هدايته عارضه باسباب الهدى فصده عن الضلال فاهتدى فينبغي

لمن راى

لمن راى عنده اثار هدى ان يعلم انه من الله سبحانه حتى يزداد شكره وحمده ليزداد هداه بمصادق وعد قوله
تعالى ولئن شكرتم وعلى كل ذلك المعنيين فلا ينافي ذلك قوله صلى الله عليه وسلم كل مولود على الفطرة لان ذلك ضلال
طارئ على الفطرة الاولى كما يرشد اليه ما روي خلق الله الخلق على معرفته فاغتالتهم الشياطين هذا واختلف في
المراد بالفطرة هنا فقيل هي ما اخذ عليهم في اصلاب ابائهم فتقع الولادة عليها حتى يحصل التغيير بالابوين وقيل
ما قضي على المولود من سعادة او شقاوة فيصير اليها وبه صرح ابن المبارك فقال يولد على ما يصير اليه من سعادة
او شقاوة فمن علم الله تعالى ان يصير مسلما ولد على فطرة الاسلام ومن علم انه يصير كافرا ولد على الكفر وقيل معرفة الله تعالى
والاقرار به وان عبد معه غيره والاصح ان معناه ان كل مولود يولد متهيئا للاسلام فمن كان ابواه او احدهما مسلما
استمر عليه في احكام الدنيا والاخرة وان كانا كافرين جرى عليه حكمهما فيتبعهما في احكام الدنيا وهذا معنى قوله
فابواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه اي يحكم له بحكمهما في الدنيا فاذا بلغ مستمرا على الكفر حكم له به واختلفوا فيمن مات صغيرا
والاصح انه في الجنة لقوله تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا والحاصل ان الانسان مفطور على قبول الاسلام والتهيؤ
له بالقوة لكن لا بد من ان يتعلمه بالفعل فانه قبل التعلم جاهل كما قال تعالى والله اخرجكم من بطون امهاتكم لا تعلمون شيئا
فمن هداه سبب له من يعلمه الهدى فصار مهتديا بالفعل بعد ان كان مهتديا بالقوة ومن خذله والعياذ بالله تعالى قيض له
من يعلمه ما يغير فطرته بامر ابويه ان يهودانه وينصرانه ويمجسانه تنبيه انكر بعض فقهاء العراق الدعا
للعاطس بهديكم الله ظنا منهم ان الدعاء بالهداية للمسلم تحصيل للحاصل وليس كما زعموا اسيما والسنة الصحيحة امرة
بذلك وامره صلى الله عليه وسلم عليا رضي الله تعالى عنه ان يسأل الله تعالى السداد والهدى وعلم الحسن ان يقول في
القنوت في الدليل اللهم اهدني فيمن هديت وكان صلى الله عليه وسلم يقول في دعائه في الليل اهدني لما اختلف فيه من الحق
باذنك انك تهدي من تشاء الى صراط مستقيم وليس المراد بالهداية هنا الهداية لما هو متلبس به من الاسلام والايمان
بل لمعرفة تفاصيل اجزائهما ومتمماتهما واعانته على فعل ذلك وهذا كل مؤمن يحتاج اليه ليلا ونهارا ومن ثم امر الله
تعالى عباده ان يسألوه ذلك في كل ركعة من صلاتهم اهدنا الصراط المستقيم وفي هذه الجملة دليل لقول اهل الحق ان
الهداية والضلالة من خلق الله تعالى وايجاده لا دخل للعبد في واحد منهما خلافا للمعتزلة قال تعالى كذلك يضل الله من يشاء و
يهدي من يشاء وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله وما تشاؤن الا ان يشاء الله والله خلقكم وما تعملون واصرح
من ذلك في ابطال مذهبهم الفاسد انه تعالى اراد هداية الجميع قوله تعالى والله يدعو الى دار السلام ويهدي من يشاء الى صراط مستقيم
فعمم الدعوة وخص الهداية وقوله تعالى قل كل من عند الله وانما اضيفت السيئة للنفس في وما اصابك من سيئة فمن نفسك
وفي قوله صلى الله عليه وسلم في بعض ادعية الافتتاح والشر ليس اليك تعليما للادب انه لا يضاف اليه تعالى المحقرات كالا يقال
يا خالق القردة والخنازير وان كان تعالى خالق كل شيء فاستهدوني اي اطلبوا مني الهداية بمعنى الدلالة على طرق

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)